الخطبة الثانية

هل الأحمدية غراس الإنجليز؟

أُلقيت بتاريخ ١فبراير/شباط ١٩٨٥م

أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك لـــه، وأشهد أن محمدًا عبـــده ورسوله. أما بعد فأعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿بسْـــم الله الـــرَّحْمَن الرَّحيم * الْحَمْدُ لله رَبِّ الْعَالَمينَ * الرَّحْمَن الرَّحيم * مَالك يَوْم الدِّين * إيَّاكَ نَعْبُدُ وَإيَّاكَ نَسْتَعينُ * اهْدنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقيمَ * صرَاط الَّذينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهمْ غَيْر الْمَغْضُوب عَلَيْهمْ وَلا الضَّالِّينَ﴾ (آمين)

﴿وقال الذين كفروا إن هذا إلا إفكٌ افتراه وأعانه عليه قوم آخـــرون فقد جاءوا ظلمًا وزورًا * وقالوا أساطير الأولين اكتَتَبَها فهي تُمْلَى عليـــه بكرةً وأصيلا * قُلْ أَنْزَلَه الذي يعلم السرَّ في السماوات والأرض إنه كان غفورًا رحيمًا﴾ (سورة الفرقان: ٥- ٧).

ذكرت في الخطبة الماضية أنني بإذن الله تعالى وعونه سوف أتحـــدث، كما وعدتكم قبل فترة، عما أَسْمَوه "البيان الأبـــيض" الـــذي أصـــدرته حكومة باكستان، لأرد على تُهَمهم التي أثاروها فيه ضدنا، تهمةً تهمةً.

الآيات القرآنية التي استهللتُ بها خطبة الجمعة الماضية، يقول الله تعالى فيها بأن الكفار لا يأتون بجديد فيما يعترضون به على محمد ﷺ، وإنمـــا يتبعون سنة الأولين، ويثيرون على محمد ﷺ نفس الاعتراضات التي أُثيرت ضد الأنبياء السابقين.

قاعدة كلية

إنها قاعدة كلية.. بأنه لم يُبعث نبيٌ في أي زمن إلا وأثار الأعداء ضده نفس الاعتراضات والتهم التي تعرض لها الأنبياء السابقون عليهم السلام. لم تصلنا أية تفاصيل عن نوعية التهم التي وُجِّهتْ إلى أولِّ الأنبياء غير أنه لا بد أن تكون تلك التهم قد وُجِّهتْ إليه للمـــرة الأولى في العـــالم، ثم تناقلتها الأجيال التالية باستمرار.. وهذا ما يشير إليه القرآن الكريم.

وقد تناولت الآيات التي تلوها آنفا أحد الاعتراضات الـــذي وجّهـــه الكفار إلى النبيِّ ﷺ، وهو كما تقول الآية: ﴿وقال الذين كفروا إن هـــذا إلا إفكٌ افتراه وأعانه عليه قومٌ آخرون * فقد جاءوا ظلمًا وزورًا﴾

أما الذين اتُّهِمَ النبي ﷺ بأنه استعانَ بهم على هذا الكذب والافتـــراء، فقد ذكرهم القرآن في مكان آخر، ووصفهم حكايةً عن الكفار بأنهم من العجم. ثم ردّ على اعتراضهم قائلا: ﴿أأعجمي وعربي﴾؟، بمعنى أنه لـــو كان أحد العجم كتب لـــه ودعمه، وأقامه للنبوة، فلماذا لا تجدون أيـــة عجمة في كلامه ﷺ؟

تهمة "المحققين الجدد"

هذا، وإن كل ما رُميَ به سيدنا الإمام المهدي والمسيح الموعـــود عليه السلام من اعتراضاتٍ وتهمٍ ليس فيه أي جديد مطلقًا، وإنما هو نفس ما أثير ضد الأنبياء السابقين؛ بل وفي بعض الأحيان أخذوا نفس التهم التي أُلصـــقت بنبينا محمد ﷺ، واتهموا بها خادمَه الأطهر وعاشقَه الصادق سيدَنا الإمـــام المهدي والمسيح الموعود عليه السلام. ففي "البيان الأبيض" المزعوم ركّزوا بشدة على اتهامهم بأن "الأحمدية غراس الإنجليز"، وأن سيدنا الإمـــام المهـــدي والمسيح الموعود عليه السلام متنبئ أقامه الإنجليز.. حيث كتبوا: "لقـــد أثبـــت "المحققون الجدد" أن الأحمدية غرسها الإنجليز بيدهم، للحفاظ على مصالح الدولة البريطانية."

ومَن هم هؤلاء "المحققون الجدد"؟ لم تُذكَر أسماؤهم ولا تحقيقهم، وإنما ألصقوا تهمة وهمية اختلقوها ونشروها بأسلوب يُعجب الغرب وغيرهـــم من المثقفين المعاصرين، وأوهموهم كما لو أنها حقيقة ثابتة، حيث قـــالوا، لقد أثبت "المحققون الجدد..".

تحقيق فريد

قبل فترة طويلة، حين كنتُ رئيسًا لمكتب "الوقف الجديد"، اطلعت على تحقيق نشروه في هذا الشأن، ذكروا فيه كتابًا بوصفه مرجعًا، وزعموا أنه طبع في إحدى المطابع بإنجلترا، اسمه:

The arrival of British Empire in India: Cited by Ajami Israil, page 19.

وقالوا إن هذا الكتاب يؤكد بأن الإنجليز قرروا في البرلمان بأنه لاستمرار حكمهم على الهند والسيطرة على المسلمين هناك، لا بد لهم من إقامة متنبئ كذاب باسم نبي ظليّ.

وكأن مصطلح "نبي ظلي" مصطلح اخترعه الإنجليز!

فكتبتُ إلى إمام مسجد لندن وقتئذ بأن هذا كذب صريح ولا شك، إلا أنني أرجوك مراجعة هذا الكتاب حتى نتأكد مما جاء فيه. فلربما ورد فيه أمر آخر حوّلوه بقص ولزق إلى ما يحققون به مآربهم.

ولمفاجأتي كتب إليَّ إمام المسجد بأنه لم يعثر على أي كتاب يحمل هذا العنوان. فطلبت إليه المزيد من البحث والاتصال بالمطبعة المذكورة. فجاءني الرد: لقد قمنا ببحث شاق، فلم نجد الكتاب، بل لم نعثر على أية مطبعة بهذا الاسم.

ثم اتصلنا في هذا الشأن بالمتحف البريطاني وغيره من المؤسسات الكبيرة، فقالوا لنا بكلمة واحدة: لا يوجد هنا أي كتاب بهذا العنوان، ولا أية مطبعة بهذا الاسم!

هؤلاء هم "المحققون الجدد" الذين قاموا بهذا التحقيق للحكومة الباكستانية. والحق أن استخدام كلمة التحقيق لهذه الترهات إهانة لهذه الكلمة. ولكن حكومة باكستان قد سمتها "تحقيقًا جديدا"، وقدمتها بكل فخر للعالم. كما قامت فيها بطعن كثير يتلخص في أن سيدنا الإمام

المهدي والمسيح الموعود عليه السلام قد قام بمدح الإنجليز ومداهنتهم، كما اعترف بأنه وجماعته غراس الإنجليز. وحول هذين الأمرين سوف أسوق لحضراتكم بعض الحقائق.

تعاسة المسلمين أيام حكم السيخ

أولا وقبل كل شيء، أود أن أقول: لا شك في أن سيدنا الإمام المهدي والمسيح الموعود عليه السلام قد مدح الإنجليز، وليس مرة واحدة، وإنما عدة مرات. ولكنه في كل مرة، وفي كل مكان، صرّح أن ذلك يرجع إلى أنه في أيام حكم السيخ.. كان المسلمون وبالخاصة القاطنين منهم في منطقة فنجاب، يعيشون في تعاسة شديدة وحالة يرثى لها. كانوا محرومين من جميع حقوقهم الإنسانية والأساسية، واضطهدهم السيخ اضطهادا لم يسبق له نظير في أي مكان آخر. فجاء الحكام الإنجليز وأنقذوهم من أتون الاضطهاد، ومنحوهم حقوقهم كلها. هذا هو السبب الذي دفعني لمدح الحكام الإنجليز. ومدحُ المحسن ليس من سنة الأنبياء عليهم السلام فحسب، وإنما هو أيضا من مقتضى المروءة والإنسانية، وهل جزاء الإحسان إلا الإحسان!

ولقد أكد قولَ الإمام المهدي والمسيح الموعود عليه السلام، المحققون الهندوس أيضا الذين ربطتهم بالسيخ عندئذ علاقاتُ صداقةٍ حميمة. وقد اخترت مقتبسين اثنين لقراءتهما على مسامعكم بهذه المناسبة، أحدهما لغير مسلم، والآخر لأحد المسلمين غير الأحمديين. وكلاهما يوضح الحالة التعيسة للمسلمين في ظل حكم السيخ، وكيف أن الإنجليز جاءوا وأنقذوهم من مصائبهم.

يقول السيد "تُلسي رام" أحد علماء الهندوس:

"في بداية حكمهم كان شغل السيخ الشاغل قطعَ الطرق والقتلَ والنهبَ وتقسيمَ "الغنائم" فيما بينهم. وكانوا يبغضون المسلمين بغضًا شديدًا حتى إنهم كانوا لا يسمحون لهم برفع الأذان للصلاة. كانوا يستولون على مساجدهم، ويقرؤون فيها "جرنث" (كتابهم المقدس). ويسَمّون هذا العمل حلقة الموت، وكانوا مدمني الخمر...." (شير فنجاب، لتُلسي رام طبعة ١٨٧٢م).

هذا هو حكم السيخ الذي نَجَّى منه الإنجليزُ المسلمين. وهناك أحداث مروعة للغاية سوف تجدونها مفصلة في عدة كتب التاريخ.

ذكر السيد محمد جعفر التهانيسري في كتابه "سوانح أحمدي" حكاية بلسان حضرة سيد أحمد البريلوي رحمه الله تعالى (مجدد القرن الثالث عشر) يقول:

"أثناء سفرنا في منطقة فنجاب وردنا على بئر لشرب الماء، فوجدنا عندها بعض نساء السيخ يستسقين. ولما كنا لا نعرف لغة تلك المنطقة أشرنا إليهن بأيدينا أننا عطاشى، ونريد الماء. فنظرن فيما حولهن، وقلن لنا باللغة الأفغانية: إننا مسلمات ومن أولاد المسلمين الأفغان القاطنين في المنطقة الفلانية والقرية الفلانية، وهؤلاء السيخ قد اختطفونا من هناك." (سوانح أحمدي ص٢٤)

هذا، وقد ذكرت دائرة المعارف: (Encyclopedia of Sikh Literature) تفاصيلَ الاضطهادات المروعة التي وقعت من السيخ على المسلمين.. كتعرض المسلمات بكثرة للاختطاف والاغتصاب، وهدمِ المساجد وتحويلِها إلى مرابط للحمير، والقتلِ العام للمسلمين، وخاصة قتلِهم بسبب رفع الأذان للصلاة وغيرها من الأمور.

السيخ يضحكون

تلك هي الفترة التي حَرَمَ فيها السيخُ المسلمين من كل حق إنساني. أما الحرمان من رفع الأذان للصلاة فلم يعد من أحاديث الماضي، وإنما يوجد اليوم أيضا أناس يتضايقون من صوت الأذان ويمنعون المسلمين الأحمديين من رفعه في باكستان! ولقد نشرت إحدى جرائد السيخ بالهند مؤخرا رسالة لأحد قرائها يقول: "لقد فرحنا جدا بسماع هذا الخبر، إذ كان المسلمون في الماضي يسخرون منا قائلين: أنتم قوم جاهلون حيث كنتم تظنون في يوم من الأيام أن صوت آذاننا نحن المسلمين ينجسكم، فمنعتمونا قسرًا من رفع الأذان. فما أسعدنا اليوم إذ نرى المسلمين قد منعوا إخوانهم المسلمين من رفعه. فاليوم لم تبق علينا أية تهمة، وإنما ثبتت براءتنا."

وأحداث كهذه تقع في تاريخ الأمم دائمًا، فكلما يكثر الجهل تكثر هذه الممارسات. لذا لسنا هنا لنؤكد بأن السيخ كانوا على خطأ، وإنما نتساءل: الشعب الذي أنقذ المسلمين من هذا المأزق إذا لم نشكره ولم نمدحه على صنيعه هذا فماذا تعني المروءة والإنسانية إذن؟

السبب الحقيقي لمدح الإنجليز

إذا قرأنا ما كتبه سيدنا الإمام المهدي والمسيح الموعود عليه السلام يتضح لنا تمامًا أنه لم يمدح أحدًا للمداهنة، وإنما مدحهم اعترافًا بالحقيقة وإيمانًا منه بأن شكر صانع الجميل أدب إسلامي. يقول حضرته:

"اسمعوا أيها الأغبياء! إنني لا أداهن هذه الحكومة أبدًا، وإنما الأمر الواقع بأن أية حكومة لا تعتدي على دين الإسلام، ولا تمنعنا من أداء الشعائر الإسلامية، ولا تشهِّر السيف في وجوهنا لنشر دينها.. فإن القرآن

الشريف يحرّم علينا أن نحاربها حربًا دينية، لأنها أيضا لا تحاربنا حربًا دينية" (سفينة نوح، الخزائن الروحانية ج١٩ ص٧٥، الهامش).

وأيضا يقول عليه السلام:

"لم أجد قط في نفسي رغبةً في ذكر هذه الخدمات المتواصلة عند الحكام (أي التي قدمها حضرته عليه السلام بحثّه المسلمين على شكر الإنجليز وإطاعتهم) لأنني لم أُرد أبدًا من أحد جزاءً ولا شكورًا. وإنما رأيت إظهار الحق من واجبي." (كتاب البرية، الخزائن الروحانية ج١٣ ص٣٤٠)

هذا هو موقف سيدنا الإمام المهدي والمسيح الموعود عليه السلام. وهلموا نر موقف هؤلاء الذين يعترضون على حضرته بقولهم: إنه مدح الإنجليز.. فهو إذن عميل لهم.

الشاعر إقبال ومدحُ الإنجليز

إن أكبر وأهم الشخصيات التي أبدى الحكام الباكستانيون إعجابهم بها في المنشور الحكومي هي شخصية السير العلامة إقبال. تعالوا نر ماذا كان إقبال يقول ويكتب ويفكر ويشعر نحو الإنجليز عندئذ.

عند وفاة الملكة فكتوريا رثاها السير إقبال بمرثية طويلة قال فيها ما تعريبه:

لقد رفعوا نعش الملكة..

قُمْ تعظيما لها يا إقبال، وكُنْ ترابًا بطريق نعشها.

أيها الشهر، شكلك مثل شكل شهر محرَّم.

ولا بأس لو سميناك أنت الآخر محرَّمًا.

يعني إقبال: لا عجب لو أطلقنا على هذا الشهر الذي توفيت فيه الملكة اسم "محرم"، إذ أن حادث وفاة الملكة في الواقع لا يختلف كثيرًا عن

الحادث المروع لسيدنا الإمام الحسين ﷺ حفيد الرسول الكريم ﷺ، الذي وقع في شهر محرَّم.

ويستمر إقبال قائلا:

يقولون: اليوم يوم العيد. فهنيئًا لكم العيد. أما نحن فالموت خير لنا من هذا العيد.

هذا هو مجاهد الملة الإسلامية، حسب قولهم، السير محمد إقبال..الذي يُعتبر أكبر معاندي الأحمدية، وأول الطاعنين في سيدنا الإمام المهدي والمسيح الموعود عليه السلام بأنه قد مدح الإنجليز لذلك فلا شك أنه غراسهم!!

ومما يطعن به الأعداء في سيدنا الإمام المهدي والمسيح الموعود عليه السلام أنه سمى الإنجليز "ظل الله"، مع أن العلامة إقبال قد اعتبر الإنجليز ظل الله في نفس المرثية، حيث قال ما تعريبه:

يا بلاد الهند، قد زال عنكِ ظل الله.

إذ حُرمتِ من الملكة التي كانت تواسي وتعطف على أهلك.

وهذا البكاء الذي يهتز له عرش الرحمن هو بكاء الناس إياها،

وهذه الجنازة هي جنازة الملكة التي كانت زينة لك، يا بلاد الهند.

(باقيات إقبال، تأليف السيد عبد الواحد المعيني، ص٧٣، ٧٦، ٨١، ٩٠)

فتاوى علماء أهل الحديث

تُعتبر فرقة أهل الحديث (الديوبنديون) اليوم من أكبر المعاندين للجماعة الإسلامية الأحمدية، والواقع أنها بمثابة اليد اليمني للحكومة الباكستانية الحالية. يقول أكبر علمائها العظام شمس العلماء المولوي نذير أحمد الدهلوي، عن الإنجليز:

"من مصلحة الهند كلها أن يحكمها حاكم أجنبي، لا هو هندوسي، ولا مسلم، وإنما يجب أن يكون من أحد سلاطين الغرب، (أقول: إنه لا يخص الإنجليز فقط وإنما يقول أي واحد من أهل الغرب). ومِن عناية الله العظمى أن الإنجليز تولَّوا الحكم" (مجموعة محاضرات مولانا نذير أحمد الدهلوي، ص٤-٥).

ثم يقول:

"هل هذه الحكومة قاسية ومتشددة؟ كلا، ثم كلا، بل هي أكثر عطفًا وحنانًا من الوالدين" (المرجع السابق ص١٩).

ويستمر قائلا:

"كنت أنظر، بمنظار معلوماتي، إلى ولاة الهند عندئذ. كما كنت أجول بفكري في بورما، ونيبال، وأفغانستان، بل في فارس ومصر والعرب، فلم أجد في كل هذه البلاد من أقصاها إلى أقصاها أحدًا أسلِّم إليه حكم الهند (أي في خياله)، وما رأيت فيمن يريدون السيطرة على الحكم أحدًا أحق من هؤلاء. فقررت عندئذ أن الإنجليز هم أحق وأولى بحكم الهند، ويجب أن يستمر الحكم فيهم" (المرجع السابق ص٢٦).

كما يوضح السيد شورش الكاشميري وهو أحد الأحراريين الذين هم من أشد الناس عداوة للجماعة الإسلامية الأحمدية، وهو مدير مجلة "جتان":

"وكان الكاتب الشهير ديبتي نذير أحمد من بين الذين قالوا في تلك الفترة المشحونة بالأحداث الخطيرة، بنسخ الجهاد، واعتبروا الإنجليز أولي الأمر، مؤوِّلين قول الله تعالى: ﴿أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم﴾ (كتاب "عطاء الله شاه البخاري" ص١٣٥).

البطالوي يفتخر بالحكومة الإنجليزية

والآن استمعوا ماذا يقول أكبر مشايخ أهل الحديث وأعدى أعداء سيدنا الإمام المهدي والمسيح الموعود عليه السلام وهو المولوي محمد حسين البطالوي، يقول:

والآن استمعوا إلى أفكار المولوي محمد حسين البطالوي عن الحكومة الإنجليزية:

"لا شك أن سلطان الروم ملك مسيحي، ولكننا، نحن المسلمين، لسنا أقل منهم اعتزازًا وافتخارًا بالحكومة البريطانية نظرًا إلى الأمن العام وحسن النظام. بصرف النظر عن الدين. وإن فرقة "أهل الحديث" على الوجه الأخص، تفتخر أمام جميع الدول الإسلامية الحالية، سواء في الروم أو في إيران أو خراسان لما تتمتع به من أمن وحرية من قبل هذه الحكومة" (مجلة إشاعة السنة، المجلد١٠ ص٢٩٢- ٢٩٣).

هكذا قالوا بالأمس القريب!!

وأيضا يقول:

"نظرًا للأمن والاستقرار والحرية العامة وحسن النظام الذي تتحلى به الحكومة البريطانية، فإن فرقة أهل الحديث بالهند تعتبرها غنيمة عظيمة، وتفضّل أن تكون من رعاياها بدل أن تكون من رعايا الدول الإسلامية" (المرجع السابق).

يا سبحان الله! يشيع هؤلاء اليوم بأن الأحمديين لما كانوا يَكرهون الدول الإسلامية لذلك ازدهروا تحت الحكم الإنجليزي، وكانوا يتمنون دوام هذا الحكم، ولكن انظروا كيف كان آباؤهم يقولون إلى الأمس القريب: "نفضل كوننا من رعايا الإنجليز على أن نكون من رعايا الدول الإسلامية!!"

ولاحِظوا أنه لا يوجد في هذه الأقوال ما ذكره سيدنا الإمام المهدي والمسيح الموعود عليه السلام من أن الإنجليز أنقذوا المسلمين من اضطهادات السيخ، ومنحوهم حرية دينية، لذلك مدحتُهم، وإنما كان هؤلاء يفضلون الحكم الإنجليزي على الدول الإسلامية بدون أسباب كهذه، ولا سيما أهل الحديث الذين حيثما حلوا وأقاموا، سواء في أرض العرب أو الروم، فإنهم لا يريدون أن يكونوا رعايا لأحد سوى الإنجليز.

وفيما يتعلق بالشيعة فإنهم أيضا كتبوا وقالوا نفس الأقوال. لقد نُشر نفس القول للعلامة علي الحائري في "الموعظة": تحريف قرآن، إبريل ١٩٢٣م ص٥٧-٥٨.

المولوي ظفر علي خانْ يمدح الإنجليز

كان المولوي ظفر علي خان لمدة من الزمن يعمل في حزب الأحراريين، ولكنه تركهم فيما بعد وعَدَّهم من خونة البلد والوطن والإسلام. يقول المولوي في جريدته بعد خبرة طويلة:

"لا يمكن للمسلمين، ولا للحظة واحدة، أن يسيئوا الظن بهذه الحكومة. ولو أن شقيًا من المسلمين تجاسر على الخروج على الحكومة فإننا نقول علنًا بأنه ليس مسلمًا." (جريدة "زميندار" لاهور، عدد ١١ نوفمبر ١٩١١م)

اُنظروا إلى فتواه.. يقول إن المسلم الذي يخرج على الحكومة الإنجليزية لا يبقى مسلمًا. ويستمر قائلا:

"نحن مستعدون لإراقة دمائنا نظير كل حبة عرق تسقط من جبين ملِكنا المعظم ملجأ العالم. وهذا هو حال جميع مسلمي الهند." (المرجع السابق عدد ٢٣ نوفمبر ١٩١١م)

أتساءل: هل لتغيير هذه الحال السائدة غرس الإنجليز غراسه؟

ثم يقول في إحدى قصائده ما معناه:

"انحَنَى رأسي بفرط الاحترام والإجلال كلما سمعتُ ذكر الملك المعظم. الجلالة نفسها تعتز به اعتزازًا، لأنه ملك البر والبحر.

ليتني أحظى بنظرة واحدة من جلالته" (المرجع السابق عدد ١٩ أكتوبر ١٩١١م).

هذه هي سيرتهم وهذا هو الماضي لهؤلاء الذين يرمون الأحمدية اليوم بعمالة الإنجليز!

نفاق المشايخ

هذا، وإن مدح سيدنا الإمام المهدي والمسيح الموعود عليه السلام للحكومة الإنجليزية.. راجع إلى حسن خلقه، حيث مدحهم على جميلهم الذي أسدَوه إلى المسلمين بإنقاذهم من مظالم السيخ.

ليس هذا فحسب، وإنما كانت وراءه أيضا مشاكل خلقها له أعداؤه. فمن ناحية أثار المشايخ عواطف المسلمين ضد سيدنا المسيح الموعود عليه السلام قائلين بأنه يمدح الإنجليز ويقول بنسخ الجهاد، في حين أنه لابد من محاربة هذه الحكومة للقضاء عليها، ومن ناحية أخرى كانوا لا يبرحون يمدحون الإنجليز بالكلمات التي قرأت بعضها على أسماعكم، ومن ناحية ثالثة وَشَوا بحضرته إلى الحكومة الإنجليزية، سرًّا وعلانية، بأن هذا الرجل يشكل خطرًا كبيرًا على حكمكم، فلا تنخدعوا بأقواله، إذ يدَّعي بكونه مهديًّا. إنه مهدي دموي قام لإبادة مملكتكم كلها!

اُنظروا إلى مدى نفاقهم وظلمهم وكذبهم! فمن جهة يشيعون بين المسلمين بأن مؤسس الأحمدية عميل الإنجليز، وفي نفس الوقت يبلّغون الحكومة الإنجليزية بأنه عدو لكم يريد القضاء عليكم، فاقتلوه.

فقد كتب المولوي محمد حسين البطالوي في مجلته:

"ومما يدل على خداعه (يعني سيدنا ميرزا غلام أحمد القادياني عليه السلام) أنه يؤمن في قلبه بإبادة كل حكومة غير إسلامية، واستباحة أموالها. لذا ينبغي ألا تنخدع الحكومة منه، بل عليها بالحذر منه، وإلا نخشى أن يُلحق هذا المهدي القادياني بالحكومة من الأضرار ما لم يستطع المهدي السُوداني إلحاقَه بها." (مجلة إشاعة السنة النبوية، ج٦ ص٤ الهامش)

ويحذر المنشي محمد عبد الله الإنجليزَ من حضرته عليه السلام قائلا:

"إنه يحض أتباعه على محاربة الحكومة مستشهدًا بالآيات القرآنية." (شهادت قرآني، ص٢٠)

وبالفعل تأثر الناس جدًا من هذه الدعاية المسعورة الباطلة، وكان من بين المتأثرين محرر جريدة (Civil & Military Gazette)، الصادرة في لاهور في تلك الأيام، وكانت جريدة قيمة، استمرت في الصدور لمدة طويلة. فكتب في إحدى افتتاحياتها مقالا أثار فيه الحكام الإنجليز ضد سيدنا الإمام المهدي والمسيح والموعود عليه السلام، محذرًا إياهم بأنه رجل خطير جدًا، ويجب ألا يغترّوا ببياناته وأقواله الداعية إلى الصلح والوئام، وإلا فسوف يقضي على حكومتهم.

تلبيس صريح

أما فيما يتعلق بقولهم بأن مؤسس الجماعة الإسلامية الأحمدية بنفسه قد كتب معترفًا بأنه غراس الإنجليز، فقد ارتكبوا في ذلك أيضا دجلًا شديدًا وتلبيسًا مذهلًا، مما يدل أن قلوبهم قد خلت من خشية الله تمامًا. يوهمون القارئ كما لو أن سيدنا الإمام المهدي والمسيح الموعود عليه السلام قد اعترف على نفسه وجماعته بأنهم غراس الإنجليز..

نعوذ بالله من هذا الافتراء. نعم، هناك بيان فيه ذكر الغراس، ولكن المرء إذا قَرَأَ ما كتبه الأعداء إلى الحكام ضد حضرته، وقد قرأتُ بعضه على أسماعكم، لعَرَفَ سبب ومناسبة هذا البيان.

الواقع أن الحاكم الإنجليزي السير وليم ميكورث نيغ كان مسيحيًا شديد التعصب، وكان يكِّن ضد سيدنا الإمام المهدي والمسيح الموعود عليه السلام بغضًا شديدًا بسبب الهجوم العنيف الذي شنه حضرته على عقائد المسيحيين الباطلة، فسعى المشايخ إليه بأن الميرزا غلام أحمد القادياني يعادي حكومة الإنجليز ودينهم عداء شديدًا، فعليكم بالقضاء عليه. ولما بلغ ذلك حضرته عليه السلام صرّح للحكام الإنجليز قائلا:

"لقد وصلتني أخبار متتابعة بأن بعضًا من الحساد الذين يعادونني وأصدقائي لاختلاف في العقيدة، أو لأي سبب آخر، يبلغون الحكام الكرام ضدي أو ضد أصدقائي أمورًا لا تمت إلى الحقيقة بصلة. فأخشى أن تنطلي على المسؤولين الحكوميين افتراءاتهم وِشاياتهم اليومية، ويسيئوا بنا الظن... فتضيع جميع تضحياتنا.

... لذا أرجو من الحكومة أن تعامل هذه الأسرة التي اختبرت ولاءَها وخدماتِها لها لحوالي خمسين عاما متتالية، والتي اعترف الموظفون الحكوميون الكرام في مراسلاتهم لها اعترافًا أكيدًا بأنها أسرة وفيَّة ومخلصة في ولائها منذ أمد طويل.. أرجو من الحكومة أن تعامل هذا الغراس الذي غرسته بيدها، بكل حزم واحتياط وعناية وبعد تحقيق." (كتاب البرية، الخزائن الروحانية ج١٣ ص٣٤٩-٣٥٠)

لاحِظوا أن حضرته عليه السلام لا يتحدث هنا عن جماعته وإنما عن أسرته التي ساعدت الإنجليز في حروبهم ضد السيخ وغيرهم، حيث أمدّهم

بكتائب من الجنود وعلى نفقاتها. فيقول حضرته كيف يمكن أن تتناسَوا هذه الخدمات وتظنوا أن هذه الأسرة تحيك مؤامرات تهدف إلى إبادتكم.

هذا، وهناك خلفية أخرى فَرضت على حضرته إدلاءَ هذا البيان، ذلك أن أعداء حضرته عليه السلام عندما سَعَوا به إلى الحكام الإنجليز.. ثار أفراد أسرته الذين لم يكونوا غير مصدقين بدعواه فحسب، وإنما كانوا من المعارضين له، فقالوا لحضرته: إنك خلقت لنا مشكلتين، فمن ناحية تشوه سمعتنا على الصعيد الديني بادعائك بما لا نصدقه، ومن ناحية أخرى تجلب علينا سخط الحكومة وعداوتها. فاضطر حضرته عليه السلام للدفاع عن أسرته ملفتًا أنظار الحكومة إلى ما اعترف به موظفوها في الماضي من خدمة وولاء هذه الأسرة لها.

لا علاقة بين مدح الإنجليز والأحمدية

الواقع أن الأحمدية بدأت بدعوى سيدنا الإمام المهدي والمسيح الموعود عليه السلام. أما الأسرة التي يحاول حضرته براءتها فكانت موجودة قبل قيام الأحمدية، بل إن خدماتها للحكومة الإنجليزية كانت سبقت وجود الأحمدية بزمن طويل، ولا علاقة لها بالأحمدية. وكانت هذه الأسرة قد صارت معادية لحضرته بسبب دعواه حتى إن الحكومة الباكستانية نفسها اعترفت بعدواتهم لحضرته، حيث قالت في "البيان الأبيض" المزعوم بأن من أدلة كذب الميرزا (والعياذ بالله) كون عشيرته الأقربين من أشد المعاندين له!

وهذه الأسرة التي سماها سيدنا الإمام المهدي والمسيح الموعود عليه السلام "غراس الحكومة" كانت من "أهل السنة" حسب المصطلح السائد اليوم، وإن كنا، نحن المسلمين الأحمديين، "أهل السنة" في الحقيقة بعون الله.

وكان حضرته قد قطع صلته بهذه الأسرة بسبب عداوتها له. فإذا كانت هذه الأسرة "السنية" غراس الإنجليز فلتكن، ولا علاقة للأحمدية بها.

ماذا أعطى الإنجليز هذه الأسرة؟

والآن هلموا نر كيف عامل الإنجليز هذه الأسرة، وننظر إلى الأيادي التي أسدَوها إليها، ونر إلى السبب الذي جعل حضرته عليه السلام يسمي أسرته "غراس الإنجليز"، مذكّرًا إياهم بخدماتها التي اعترف بها الموظفون الإنجليز في رسائلهم إلى آبائه. هذا المعروف من الحكومة الإنجليزية ليس سوى أنهم نَجَّوا هذه الأسرة من حكومة السيخ الغاشمة التي شنت عليها هجمات متكررة، وألحقت بها أضرارًا فادحة، بل أجلتها من قريتها الأم. فبقيت في الجلاء لفترة من الزمن حتى انتزع الإنجليز الحكم من أيدي السيخ، وعاد الأمن والاستقرار في المنطقة، فرجعت الأسرة إلى قاديان. من أجل هذه اليد البيضاء من الإنجليز لهذه الأسرة سماها حضرته "غراس الإنجليز". وسوى هذا ليست هناك أية أيادٍ إنجليزية في عنق هذه الأسرة، بل العكس صحيح.

هناك كتاب شهير بعنوان "أمراء فنجاب"، نشره الإنجليز أثناء حكمهم بالهند. في هذه الوثيقة التاريخية الشهيرة ورد عن معاملة الإنجليز مع أسرة سيدنا الإمام المهدي والمسيح الموعود عليه السلام ما يلي:

"عند ضُمَّ إقليم فنجاب إلى الحكومة الإنجليزية تم مصادرة جميع ضيعات هذه الأسرة ولم يبق لها سوى قريتين أو ثلاث وأُجري للميرزا غلام مرتضى وإخوته معاش التقاعد قدره سبع مئة روبية."

(Chiefs and families of the note in the Punjab, Lahore Vol2 P85)

وتجدر الإشارة إلى أن هذا المعاش أيضا تم تقليله شيئا فشيئا حتى أُلغِيَ تمامًا في آخر الأمر! هذا هو غراس الإنجليز وهكذا كانت رعايتهم له!

أما التعاون والمساعدة التي قدمها الإنجليز للأسرة للعودة والاستيطان من جديد في قريتها بعد الجلاء فكان أمرًا اضطراريًا، إذ كان الإنجليز في صدد محاربة السيخ والاستيلاء على الحكم بكسر شوكتهم، فكان لا بد لهم من أن يتعاونوا مع الأسر التي أُجليت من قُراها ويعودوا بهم إلى ديارها.

فلم تكن للإنجليز أية أيادٍ في عنق هذه الأسرة، بل بالعكس إنهم صادروا سبعين قرية كانت ملكًا لها، وطالما حاول آباءُ حضرة مؤسس الجماعة استردادها برفع القضايا في المحاكم، وعبثًا أضاعوا ما تبقى بأيديهم من أموال. ولطالما التمس سيدنا الإمام المهدي والمسيح الموعود عليه السلام من أبيه المحترم بأن ينسحب من القضايا وبألا يتوقع من الحكومة أي خير، ورَغَّبه في عبادة الله والتقرب إليه، وإلا سوف يضيع أيضا ما في يده إذا استمر في قرع أبواب المحاكم. ولكن فكرة ضياع القرى كانت مستولية على مشاعر أبيه، فلم ينتصح له، وكانت النتيجة أنه أضاع في القضايا ما كان بيده من مال بدون أن يرد له الإنجليز ولو قرية واحدة.

عطايا الإنجليز للمشايخ

وعلى النقيض من ذلك أقطع الإنجليز لآباء هؤلاء المشايخ، الذين يرمون الأحمدية اليوم ظلمًا بكونها غراس الإنجليز، أراضيَ وضيعاتٍ مكافأةً على مدحهم لهم. فقد جادوا على المولوي محمد حسين البطالوي – وهو أعدى أعداء سيدنا عليه السلام – مائة فدان من الأرض لمداهنته لهم. في حين أنهم لم يعطوا حضرة الإمام المهدي والمسيح الموعود عليه السلام ولا شبرًا من الأرض، كما لم يعطوا جماعته أي نوع من العطايا. وليس بوسع أي إنسان على وجه الأرض أن يثبت ولو قرشًا واحدًا جاد به الإنجليز على

جماعته عليه السلام أو على أفراد أسرته، أو أنهم منحوهم مثلما منحوا العلامة إقبال لقبَ "السير"، وشرفوا المشايخ الآخرين بألقاب فخمة، وأراضٍ واسعة، ومِنَحٍ وعطايا.

أليس غريبًا أن يلقَّب هؤلاء العلماء والمشايخ اليوم باسم "أكبر المعارضين للإنجليز وأول المجاهدين ضدهم"، وأما سيدنا الإمام المهدي والمسيح الموعود عليه السلام وأتباعه الذين كانوا ولا يزالون يقدمون تضحيات جسيمة في خدمة الإسلام معتمدين فقط على مواردهم الذاتية، دون أن يأخذوا من أية حكومة ولو قرشًا، فيُعتبرون "غراس الإنجليز"!!

الوهابيون هم "غراس الإنجليز"

ومن عجائب قدرة الله أنه تعالى انتقم للأحمدية وأظهر الحقَّ بلسان أعدائهم، حيث تبادلتْ هذه الفرق الإسلامية نفس التهمة فيما بينها، وسمَّتْ بعضها بعضا بأنها "غراس الإنجليز"، في حين أن سيدنا الإمام المهدي والمسيح الموعود عليه السلام لم يستخدم هذه التسمية لفرقته أبدًا.

فقد ورد في مجلة "جتان" عن البريلويين ما يلي:

"إنهم أَفتَوا بأن الإنجليز هم أولو الأمر، وأن الهند دار الإسلام. ثم تَحَوَّل هذا الغراس الذي غرسه الإنجليز بعد أيام إلى حركة دينية." (مجلة "جتان" الصادرة في لاهور، عدد ١٥ أكتوبر ١٩٦٢م)

وكتبت مدير مجلة "طوفان":

"بكل مكرٍ ودهاءٍ غَرَسَ الإنجليز غراس الحركة النجدية (أي الوهابية) أيضا في الهند، وتولَّوا رعايتها بأنفسهم إلى أن اكتمل نماؤها وازدهارها" (مجلة "طُوفان" الباكستانية عدد ٧ نوفمبر ١٩٦٢م).

الحقائق تتكلم!

الواقع إن إلصاق التهم ليس بدليل. كما أننا لا نعتبر اتهامهم لنا بأننا غراس الإنجليز، دليلا على صدقهم، كذلك بالطبع لا نقيم أي وزن لهذه التهم التي تبادلوها، ولا نصدقها، ولكن الأحداث التاريخية لها لسان ينطق بالحق الذي لا بد من الانصياع له.

تؤكد الحقائق التاريخية بما لا مجال للشك فيه بأن مؤسسة الديوبنديين المسماة بـ"ندوة العلماء" بالهند تأسست بمساعدة الإنجليز، وهم الذين قدموا لها منحًا مالية عاش بها هؤلاء المشايخ الذين يُعَدُّون اليوم من أعداء الإنجليز وأول المجاهدين ضدهم. والذي وضع حجر الأساس لندوة العلماء هذه كان إنجليزيا. فقد جاء في مجلة "الندوة"، وهي لسان حال هذه المؤسسة ما يلي:

"لقد وافق فخامة الحاكم للدولة المتحدة (السير جان سكوت هيوس كيه. سي. أيس. آئي. إي – المترجم) على أنه بنفسه سيقوم بوضع حجر الأساس لدار العلوم ندوة العلماء، وقد تم ذلك بتاريخ ٢٨ نوفمبر ١٩٠٨م." (مجلة "الندوة" ديسمبر ١٩٠٨م، العدد ١١ المجلده ص٢)

والفقرة التالية من العبارة ملفتة للنظر. يبدو أن هؤلاء فطنوا بأن المسلمين عندما يقرؤون الخبر فلا بد وأن يذهب بهم الخيال مذاهب شتى، ويفكروا في نتائج وأهداف تأسيس ندوة قام بإرساء حجر أساسها أحد الحكام الإنجليز.. لذلك قالوا بعدها وبدون أدنى خجل قولًا خطيرًا يُدمي قلب كل مسلم. فقد برّرُوا إرساء حجر الأساس بيد حاكم إنجليزي قائلين: "إن هذه المناسبة كانت الأولى من نوعها حيث تم وضع حجر

الأساس لمعهد ديني بيد شخص ينتمي إلى دين آخر، (إن منبر مسجد النبي ﷺ كان من صنع نجار نصراني)." (المرجع السابق ص١-٢)

فلما كان منبر مسجد النبي ﷺ من صنع نصراني، حسب زعمهم والعياذ بالله، فلا بأس عندهم أن يؤسس نصراني ندوتهم!

ثم اعترفوا أيضًا قائلين ما نصه: "ونحن على يقين أن المسلمين كما يسلم إذعانهم لحكومتهم يزيدون من هؤلاء العلماء الناشئين طاعة وانقيادًا للحكومة. والآن نقدم إلى جنابكم أزكى التشكرات حيث تفضلتم علينا بقطيعة من الأرض لنرفع عليها قواعد مدرستنا." (المرجع السابق ص٧)

على أية حال، فإن هذا المعهد الديني الشهير رهين بكرم أحد الإنجليز.

ها قد رأيتم أن غراس الإنجليز بنفسه يتكلم عن أصله وحقيقته. "ندوة العلماء" معهد إسلامي عالي المستوى.. يتخرج فيه علماؤهم ويُبعثون من مركزهم هذا إلى الخارج لمحاربة الأحمدية. والعقائد الإسلامية التي يريدون نشرها في باكستان اليوم تحمل طابعًا "نجديًا". والواقع أنهم يسعون إلى تسليط هذه الفرقة النجدية على الفرق الأخرى هنالك. وهذه الفرقة تنتمي إلى الديوبنديين وإلى أهل الحديث في آن واحد. لا شك أنهما فرقتان منفصلتان، ولكن هدفهما واحد. وقد بيَّن الندويون هدفهم قبل زمن طويل قائلين:

"حقًا أن الندوة في معزل عن السياسة، ولكن لما كان هدفها الأساسي تخريج علماء مستنيرين، فمن واجب هؤلاء العلماء إطلاع القوم على بركات هذه الحكومة "الإنجليزية" ونشرِ أفكارٍ تساعد أهل البلاد على الوفاء لها." (مجلة الندوة، عدد يوليو ١٩٠٨م مجلد ٥ ص١)

هذا كما يقال بالإنجليزية: (Cat is out of the bag)، أي لقد خرج القط من الحقيبة. اُنظروا إلى شقاوتهم، كيف يتهجمون بكل كذب ومكر على

سيدنا الإمام المهدي والمسيح الموعود عليه السلام، وفي نفس الوقت يخفون حقيقتهم عن أعين الناس. ما هي أهدافهم ومن أنشأ مؤسستهم؟ كل هذه الأمور مسجلة بأيديهم في الوثائق التاريخية التي لا دخل لأي مسلم أحمدي فيها، والتي تُغني الإنسان عن بذل أي مجهود لمعرفة هويتهم. "فالحركة النجدية" حقيقة تاريخية، وكانت مدعومة من قبل الإنجليز. تمت بينها وبينهم اتفاقيات ومعاهدات لا تزال مسجلة في كتب التاريخ، ويمكن للقارئ الاطلاع على نسخها الأصلية الموجودة في المكتبات بلندن، ليعرف كيف أن الإنجليز بكل مكر ودهاء ربطوا بالاتفاقيات بين أهل الحديث أعني الحركة الوهابية النجدية وبين مؤسس الدولة السعودية الحالية، وأنشأوا "حركة جهاد"، وذلك ليس لمحاربة الإنجليز لأنهم أسسوها وقدموا لها دعما ماليًا سنويا قدره خمسة آلاف جنيه أسترليني، وإنما لمحاربة الحكومة المسلمة التركية آنذاك.

لقد قامت الحركة النجدية بدعم الإنجليز أولا في السعودية، ثم غرسوها في الهند أيضا. ونفس هذه الحركة تحلم اليوم بالسيطرة على زمام الأمور في باكستان. ونفس الحركة تتهم أحيانًا فرقة البريلويين بأنها غراس الإنجليز، وأحيانًا ترمي المسلمين الأحمديين بكونهم عملاء الإنجليز، وفي بعض الأحيان تتهم الشيعةَ بنفس التهمة. وتحاول القوى الغربية اليوم حسب مؤامرة محكمة أن تستولي هذه الحركة عن طريق الجيش الباكستاني على زمام الحكم في باكستان للأبد. إن عامة المسلمين السذج لا يدرون كيف تُحاك ضدهم هذه الأحابيل. ولكن صاحب البصيرة لن تخطئ عينه في رؤية حلقات الأحداث التي تتصل بعضها ببعض بكل وضوح.

فالذين كانوا بالأمس غراس الإنجليز هم اليوم أيضا غراسهم، ومن لم يكن لهم بالأمس أية علاقة بالإنجليز اليوم أيضا براء منهم.

الديوبنديون وأهل الحديث.. غراس الإنجليز!

هناك حاجة ماسة لجلاء الحقيقة على أهل باكستان وتوضيح الموقف الحقيقي للأحمدية نحو الإنجليز. يجب أن نبين لهم بألا يحكموا علينا على ضوء التهم الموجَّهة إلينا، لأنهم قد وجَّهوا نفس التهمة إلى جميع الفرق تقريبا، إنما يجدر بهم أن يحكموا فقط على ضوء الحقائق التاريخية التي تؤكد بكلمات صارخة بأنه إذا كان أحد غراس للإنجليز فإنهم الديوبنديون وأهل الحديث (الوهابيون) الذين ساعدوا آل سعود في تأسيس الدولة النجدية بدعم الإنجليز.

وعلى الرغم من هذه الحقائق التاريخية، أرى أنه من الظلم والسخافة أن يقال عن الوهابيين أنهم "غراس الإنجليز" من الناحية الدينية. ذلك لأن هذه الحركة دينية مستقلة، ولكنهم استغلوها لتأسيس حكومة تابعة للإنجليز. فقد اشترط الإنجليز في الاتفاقية على مؤسسي هذه الحكومة السعودية أنه لا حرية لهم في سياستهم الخارجية، وإنما يتقيدون في هذا الشأن بما يمليه عليهم الإنجليز. أما فيما يتعلق بالسياسة الداخلية فقيّدها الإنجليز أيضا إلى حد كبير نظيرَ بعض الأسلحة والأموال.

ولكني مع ذلك أرى ألا نستعجل في الحكم على أحد ولا نعتدي على أحد كما يفعل هؤلاء، وإنما علينا الاستمساك بالعدل حتى في الرد عليهم. لذلك لا أرضى، على الرغم من هذه الوثائق التاريخية التي اعترفوا فيها بالتعاون مع الإنجليز، أن يقول أحد إن الإنجليز هم أسسوا هذه الفرقة الدينية. ذلك لأن الفرق الدينية لا يؤسسها إلا أهلها، ويكون لها تاريخ مستقل. الواقع أن حضرة محمد بن عبد الوهاب – رحمه الله – كان قد أعلن الحرب على الشرك، ورغم أنه تشدد وتجاوز الاعتدال في هذا الجهاد

بعض الشيء، إلا أنه لا يحق لأحد أن يسمي الحركة الوهابية غراس الإنجليز، على أساس أنهم قاموا بدعمها في يوم من الأيام. وإنما كانت الحركة الوهابية من الناحية الدينية حركة دينية مستقلة، ولكن الإنجليز استغلوها هنالك وفي القارة الهندية أيضا. فقبل انقسام الهند استغلّهم المؤتمر الهندوسي* ضد إخوانهم المسلمين. لقد كانوا أداة طيعة في تلك الأيام، وهم اليوم أيضا يتحركون كدمية في أيدي الآخرين. فالمؤامرة هي هي، والقوم هو هو. ولكن، مع ذلك، لا يصح القول بأنهم غراس الإنجليز.

الأحمدية غراس سماوي

هنا يمكن أن يقال: إنكم تؤوِّلون قول مؤسس الأحمدية عن الغراس بأنه يقصد به أسرتَه وليس نفسَه وجماعتَه، في حين نرى أنه يتحدث عن أسرته ونفسه وجماعته، فيجب أن تقدموا دليلًا أقوى وأقطع للشك والارتياب. ولكي يطمئن مثل هؤلاء الناس أقرأ على أسماعكم ما قاله سيدنا المسيح الموعود عليه السلام عن نفسه وجماعته:

"الدنيا لا تعرفني، ولكن يعرفني من بعثني. إنهم بسبب خطئهم وشقاوتهم الشديدة يريدون إبادتي. إنني ذلك الغراس الذي غرسه المالك الحقيقي بيده... أيها الناس، تأكدوا أن معي يدًا لن تزال وفيَّةً معي إلى آخر الأمر. ولئن اجتمع رجالكم ونساؤكم، وشبابكم وشيوخكم، وصغاركم وكباركم كلهم، وابتَهَلُوا إلى الله تعالى ودَعَوا لهلاكي في اضطرار وابتهال حتى تسقط أنوفهم وتشل أيديهم، فلن يستجيب الله لهم، ولن يبرح حتى يُتمَّ ما أراد... فلا تظلموا أنفسكم. إن للكاذبين وجوهًا غير وجوه الصادقين. والله تعالى لا يترك أمرًا دون أن يحسمه... فكما أن

* هو حزب سياسي للهندوس باسم الكونغرس. (الناشر)

الله حكم بين أنبيائه ومكذبيهم في الماضي، فإنه تعالى سوف يحكم الآن أيضًا. إن لمجيء أنبياء الله موسمًا ولرحيلهم موسمًا كذلك. فتأكدوا أنني لم آتِ بدون موسم، ولن أذهب بدون موسم. فلا تختصموا مع الله، فلن تستطيعوا إبادتي." (ضميمة التحفة الجولروية، الخزائن الروحانية ج١٧ ص٤٩-٥٠)

وفيما يتعلق بتهمة "مدح الإنجليز" و "غراس الإنجليز" فيجب أن يتضح للجميع أن سيدنا الإمام المهدي والمسيح الموعود عليه السلام لم يسمِّ جماعته "غراس الإنجليز" لا صراحة ولا تلميحًا، وإنما استخدم هذه الكلمة عن أسرته التي كان بعض أفرادها من أهل السنة وبعضهم من أهل الحديث. ولكن لم تكن هذه التسمية من الوجهة الدينية. كما أن أسرته لم تتلق أية مساعدة مالية من الإنجليز، بل بالعكس قامت الحكومة الإنجليزية بمصادرة ممتلكاتها. لقد خلت قلوب هؤلاء الطاعنين والمعترضين من خشية الله، وتصف ألسنتهم الكذبَ دون اكتراث. واعلموا أنهم لم يتهموا الأحمدية وحدها بكونها "غراس الإنجليز"، بل ما برحوا يتبادلون نفس التهمة فيما بينهم. لقد أعجبهم هذا التعبير لدرجة أنهم لا يريدون أن يكفوا عن استخدامه؟ بل إنهم يعلنون معترفين بأن الإنجليز أقاموهم، وقد دوّنت أيديهم ماضيَهم وأهدافهم في الوثائق كحقائق تاريخية لا يسع أحد إنكارها.

نوايا الطائفة المغرضة

إن هذه الفرقة – التي تؤكد الوثائق التاريخية أن الإنجليز قد استخدموها لتحقيق مآربهم واستغلوها لمصالحهم السياسية لِقاء منافع مالية – تتسلط اليوم على أهل باكستان وفق مخطط مدَبّر. أما الفِرق الأخرى التي تشكل الأكثرية العظمى فقد وقعوا في دُوّامة الأحداث بحيث لا يدرون ما يُفعل

بهم. فالحكومة تقوم ضد مؤسس الجماعة الإسلامية الأحمدية بدعاية مسعورة مشوهة لدرجة أصبح الناس ينظرون نحو هذا المنظر وحده، ولا يلوون على شيء سواه، ظنًا منهم أنه ليس عليهم أي خطر ولا يمارَس ضدهم أيّ ظلم إلا من قِبل الأحمدية، و لم يبق عليهم أيّ خطر سوى خطر الأحمدية. ووسط هذه الغوغاء والدعاية المشبوهة نسوا أنفسهم، وتغافلوا عن المؤامرة التي تحاك ضدهم. وإني أؤكد لكم أنه إذا استمر الموقف هكذا.. فسوف ترون بعد قليل أنه بمساعدة الجيش الباكستاني ستُسلّط فرقة دينية معينة على باكستان، وبالتالي سوف تُعتبر هذه الفرقة الوحيدة ممثلةً للإسلام الحقيقي، وسيُطعن بطريق أو بآخر في عقائد الفرق الإسلامية الأخرى.

أما الشيعة فقد علمتم ما فُعل بهم في باكستان. لقد نشرت الجرائد تفاصيله إلى حد ما، ولكن ما يُنسَج تحت الأرض لا يدريه إلا صاحب المؤامرة. غير أني أنبهكم أنهم أيضا ليسوا في مأمن، وإنهم على خطأ إذا كانوا يظنون غير ذلك.

إنذار للبريلويين

ولقد علمتم أيضا ما حدث للبريلويين، وقد نُشرت تفاصيله في الجرائد. وأعلن الرئيس الباكستاني مؤخرًا أنه لا مكان للمشركين في باكستان. وتعلمون أن الخلاف الأساسي بين الديوبنديين (أو النجديين) والبريلويين يدور حول مسألة الشرك. البريلويون يقولون لهم: ترموننا بالشرك، ولسنا بمشركين، في حين يحاول الديوبنديون أن يثبتوا أنهم مشركون. إذن فهذا البيان من الرئيس الباكستاني له دلالات ومعانٍ، ولا يمكن أن يدلي به الرئيس ساهيًا. إنه إعلان عن استراتيجية مدروسة

يتبعونها في المستقبل. فقد تبع هذا البيانَ الرئاسي ما أعلنوه عن الأحمديين بأنه لا مكان لهم في باكستان.

وإذا تأملنا الخلفية التاريخية لقيام الحكومة النجدية وجدنا أن الإنجليز.. أثاروا مسألة الشرك نفسها، وأحدثوا صدامًا بين المسلمين النجديين والحكومة الإسلامية التركية، قائلين بأن الأتراك مشركون، وها هم يحكمونكم! وهكذا استغل الإنجليز لمصالحهم السياسية محاربةَ النجديين ضد الشرك، وبالتالي وجّهوا إلى مملكة إسلامية عظيمة ضربةً شديدة مهّدت لهم وللفرنسيين الطريق إلى الشرق الأوسط. ولو لا سقوط الدولة التركية العثمانية لما استطاع الإنجليز وغيرهم من القوى الغربية الدخول إلى الشرق الأوسط. فالمؤامرات متشابهة، وتحيكها القوى الاستعمارية الغربية التي تتبادل المصالح فيما بينها، فحينًا يستلم الإنجليز دفّة حكم الشرق الأوسط، وحينًا آخر تستلمه أمريكا، وتارة تستولي عليه دولة أخرى. فمصالحها مشتركة في الأساس.

العالم الإسلامي ضحية المؤامرة الاستعمارية

فهاتان الفرقتان: أهل الحديث والبريلويون يُستَغلُّون اليوم، كما استُغِلُّوا بالأمس. أما نحن فلنا إله.. هو الله. هو مولانا الذي لم يخذلنا أبدًا، والذي يقول عنه سيدنا الإمام المهدي والمسيح الموعود عليه السلام، إنه أيده دائمًا بوفاء، ولن يخذله أبدًا. ولكن ماذا عن أولئك الذين اغترّوا لسذاجتهم وقلة معلوماتهم بهذه الدعاية المشوهة المسعورة ضد الأحمدية، وفقدوا التمييز بين الظالم والمظلوم.. فمن يضمن حمايتهم؟ فأرجو أن تدعوا لهم حتى يهبهم الله البصيرة والفراسة، ويسدد خطاهم. واعلموا أنه لو نجح هؤلاء المتآمرون، لا قدر الله، في مؤامرتهم هذه التي يحاولون تنفيذها ضد

العالم الإسلامي باسم الإسلام، فسوف تُلحَق بالدول الإسلامية ضـــررًا فادحًا، فلن تتخلص من أحبولتها أبدًا. لقد بدأت أحداث مماثلة تقـــع في تركيا، وإندونيسيا، وماليزيا. وقد سبق أن شهد السودان نفس الأحداث. فلو أمعنتم النظر فيما حولكم لوجدتم أنه في كل دولة إسلامية يســـاعد الاستعمار الأمريكي أفرادًا معينين للاستيلاء على الحكم باسم الإســـلام، وذلك لمصالحه السياسية. ونفس الحال بالنسبة لروسيا. والواقع أن القوى الشرقية أيضا تنتهز كل فرصة لتسلِّط على الـــدول الإســـلامية وباســـم الإسلام حكومات سياسية يتعذر على الشعب التخلص من نيرها.

فادعوا الله تعالى أن ينجي بفضله الدولَ الإسلامية والشعوب الإسلامية من رِبْقة هؤلاء الأشـــرار، ويُحـــبط مـــؤامراتهم الدنيئـــة. والواقـــع أن الباكستانيين يتطلعون اليوم لخلاصهم إلى الأحمدية، لأن حيلهم كلها قـــد نفدت. فكثير من الإخوة المستنيرين يقولون لنا: نعلم أنه كلما ناصَـــبَكم أحدٌ العداءَ مُني بالفشل الذريع. فندعو الله أن يكرر هذه السُنَّة نفسها في هذه المرة أيضا، إذ لا حيلة لنا الآن للخلاص من ربقة هؤلاء الغـــاشمين، وإنما أملنا الوحيد أن ننجو منهم بسببكم أنتم.

أما نحن، المسلمين الأحمديين، فإننا جماعة ضعيفة جدًا، لا حول لنا ولا قوة، ولا دخل لنا في السياسة، وليس لنـــا أن نشـــترك في النـــــزاعات السياسية وأن نقود حركات خارجة على الحكومة، إذ ليس ذلـــك مـــن طبعنا وجبلّتنا ولا من تعليمنا. ولكننا مع ذلك نؤمن ونعلم يقينًا أن إلهنـــا لن يخذلنا، بل يخزي أعداءنا ويذلهم. فكل يد اشتبكت مع الأحمدية شُلَّت وقُطعت. لذا إياه ادْعُوا، وإليه أنيبوا حتى ينجي بلدنا وشعبنا من هـــؤلاء الغاشمين، ويقضي على المؤامرة المحاكة ضد العالم الإسلامي نهائيا، ويُفشل

القوى الغاشمة التي باسم الإسلام استولت على الحكم، ولا تزال توسع وتعمق دائرة نفوذها كي يطول أمد حكمها. نجانا الله منهم. آمين!

(أُلقيت بتاريخ ١ شباط/فبراير ١٩٨٥م في مسجد "الفضل" بلندن)